التنغيم :

التنغيم لغة من النغمة ، والنغمة " جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة " [1] ، والتنغيم مصدر الفعل تنغَّمَ مثل تربَّع تربيعا وترتَّبَ ترتيبا .

واصطلاحا : " ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام " [2] .

وقد ربط العلماء التنغيم بالمقطع ، فالنغمة هي تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية ، وتوصف بأنَّها صاعدة أو هابطة أو ثابتة (متوسطة ، أو معتدلة) ، أمَّا اللحن فهو مجموعة النغمات في المجموعة الكلامية ، أي : الترتيب الأفقي للنغمات ، أمَّا الميزان التنغيمي هو الذي يشتمل على النغمة واللحن ، والذي يعدُّ بمثابة الميزان الصرفي .

ويرتبط التنغيم أيضا بالنبر فالنغمة الصاعدة يصاحبها مقطعا منبورا ، والنغمة الهابطة يصاحبها مقطعا منبورا أيضا ، أمَّا النبرة الثابتة فقد يصاحبها مقطعا منبورا أو لا يصاحبها نبرا . إذاً كل مقطع فيه نغمة صاعدة أو هابطة فهو مقطع منبور وليس العكس ، لأنَّ النبر يقع في النغمة الثابتة أيضا .

الموازين التنغيمية في العربية :

تقسم الموازين التنغيمية بحسب اللحن بوصفه ينتهي بنغمة هابطة أو صاعدة أو ثابتة ، وبحسب المدى بين أعلى نغمة وأخفضها سعة وضيقا ، فيوصف المدى بالإيجابي والسلبي والنسبي . لذلك تقسم الموازين على ستة أقسام هي :

1 - الإيجابي الصاعد : تكون الجمل والعبارات غير تامة المعنى كالاستفهام المبدوء بهل والهمزة .

2 - الايجابي الهابط : تكون الجمل والعبارات تامة المعنى وتأتي لتأكيد الإثبات.

فيكون الهبوط على كلمة (انت) في قولك : **أنت** فعلتَ هذا ، في حالة أنه أنكر أنَّه فعل الفعل . ويكون الهبوط على كلمة (هذا) في : أنت فعلتَ **هذا** ، في حالة أنَّه ادعى أنَّه فعل شيئا غيره .

3 - النسبي الهابط : يأتي في عبارات التحية والكلام التام ، وتفصيل المعدودات ، والنداء ، وما عُبِّرَ به عن فكرة مكملة لكلام سابق مباشرة والاستفهام بغير هل والهمزة .

4 - النسبي الصاعد : الاستفهام بهل والهمزة .

5 - السلبي الهابط : يأتي في تعبيرات التسليم بالأمر نحو : لا حول ولا قوة إلَّا بالله . وعبارات الأسف والتحسر مع خفض الصوت .

---

[1] لسان العرب ، مادة : (نغم) ، 8 : 635 .
[2] مناهج البحث في اللغة ، 198 .

6 - السلبي الصاعد : إذا كان الكلام تمنيا أو عتابا .

علاقة التنغيم بالتركيب اللفظي والسياقي :

إنَّ التنغيم هو جزء من النظام النحوي للغة وهو نظام ثابت وتحليلي وله علاقة بالظواهر السياقية وهي ظواهر تركيبية . إذ يلعب التنغيم دورًا متطورًا في نقل المعنى إلى ما هو أبعد من مجرد الكلمات، حيث يعمل كعنصر أساس للتعبير اللغوي . يمكن أن تشير الاختلافات في درجة الصوت ونبرته إلى تحولات في العاطفة والتركيز والقصد، وبالتالي تغيير تفسير المستمعين لرسالة ما. على سبيل المثال، قد يشير التنغيم المرتفع إلى سؤال أو عدم يقين أو تعجب ، في حين أن التنغيم المنخفض يمكن أن يدل على الحسم أو الأسف أو النهاية كقولك : سافر زيد ؟ !.

يعتبر التنغيم عنصرًا حاسمًا في نسيج اللغة، حيث لا يؤثر على النبرة العاطفية للتواصل المنطوق فحسب بل على الوضوح البنيوي للجمل. ويشمل ذلك الاختلافات في درجة الصوت والضغط والإيقاع التي تنقل معاني دقيقة، وبالتالي توجيه المستمعين في تفسير نية المتحدث. وكما يتضح من الدراسات اللغوية المختلفة، بما في ذلك تلك التي تركز على دور التنغيم في أفعال الكلام، ومثال على ذلك التعبير عن الحالة الانفعالية التأثرية فيتطلب من المتكلم تغيير وظيفة الجملة من حالة التعامل الى الافصاح ، كالإخبار في التعليق على كرة القدم عن تسجيل هدف وذلك لنقل رسالة الانفعال التي يشعر بها المعلق ولإثارة الجمهور ومشاركته فيتم ذلك من خلال النغمة ، أو أنْ تلقي التحية على شخص كراهةً فتحولها من نغمة معتدلة الى نغمة هابطة أو صاعدة ،. فإن إتقان أنماط التنغيم هذه أمر ضروري للتواصل الفعال اللفظي والسياقي الذي يجعل التركيب ذات التنغيم المتوسط أو الهابط عالياً ، و يوفر التنغيم أيضا وظائف مميزة تنقل معاني مختلفة، مما يؤكد أهميته في التعبير والتفاعل اللغوي من ذلك مثلا يقوم المتكلم بسرد قصة محزنة عن مجموعة أصدقاء توفوا بحادث مؤلم ، ولكي لا يثير عواطف محزنة يسرد القصة بنغمة معتدلة فيخرجها من التنغيم الهابط الى المعتدل وهو ما يعمد المتكلم بأمرٍ هو عكس ما يتطلب الأمر من تنغيم [3].

يلعب التنغيم دورًا محوريًا في تشكيل كل من التفسير والتعبير العاطفي في اللغة العربية المنطوقة، حيث يعمل كأداة لغوية تنقل معاني دقيقة تتجاوز مجرد الكلمات مما تقوي بين أحدى كلمات السياق وبين معناها التي سيقت له ، نحو قول المتكلم : (بلاد بعيدة) حيث يعمد الى مد الألف والياء ليعبر عن شدَّة البعد ، كذلك إذا رمى بحجر فوصل الى علو شاهق ، يقول : رميتُ الحجر فوق ، ويشدد على الواو في (فوق) .

وفي الأساس، يمكن للاختلافات في درجة الصوت والإيقاع والضغط أن تغير الأهمية المرتبطة بالعبارات أو الأسئلة أو الأوامر، مما يؤثر بشكل كبير على كيفية تفاعل المتحدثين مع المستمعين والعكس ، قد يشير نمط التنغيم الصاعد إلى عدم اليقين أو السؤال، في حين يشير النمط الهابط غالبًا إلى النهاية أو التأسف أو التأكيد لذلك يعدّ ملمحا تمييزيا للمعاني الدقيقة .

[3] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، 309 - 310 .

ويشير الدكتور تمام حسان الى الوظيفة النحوية للتنغيم فيظهر في الجمل الإخبارية والجمل الإنشائية ، فمثلا تحديد الاستفهام في جملة نفي أو إثبات ولم تستعمل فيها أداة استفهام . فكل نمط جملي يتفق مع هيكل تنغيمي خاص ، وبعبارة أبسط : يكون الهيكل التنغيمي قالب لكل تركيب جاء عليه ، مثل الصيغة الصرفية (الوزن) التي تعدُّ قالبا للأبنية (الكلمات) كاستفعل قالب لاستخرج ، كذلك التنغيم قالبا للمعاني السياقية فمثلا اذا نطقت جملة : ظهر الحق ، بتنغيم هابط دلَّت على التقرير والإخبار ، لكنك إذا نطقتها بتنغيم صاعد دلَّت على الاستفهام ، فبالتنغيم يمكن تمييز التركيب اللغوي التقريري من التركيب الاستفهامي لا إضافات فتكون وظيفته نحوية دلالية .

يعكس التنغيم مزاج المتحدث على المستمع ، ويمكنه أيضًا تسليط الضوء على مواقف المتحدث ونشاطه الاجتماعي من خلال التركيز على الخصائص غير القطعية للكلام، يتضح أن التنغيم يعمل كوسيلة لحل المشكلة القائمة بين التركيب والسياق الاستعمالي حين تتعارض قواعد النظام التركيبي مع مطالب السياق فتأخذ النغمة بالارتفاع والانخفاض أثناء الكلام ، يمكن توضيحها بالمعادلة التالية :

نظام التنغيم : **نغمات معتدلة ← نغمات صاعدة ↖ ونغمات هابطة ↙ يؤدي الى السياق**

نظام النحو: **تعارض بالقواعد ← تعالجها النغمات ← يؤدي الى السياق**

ويعد التنغيم وسيلة للتعبير العاطفي ودقائق التواصل كالمدح والذم والتعجب والسؤال والحزن و...الخ، مما يعزز الحجة القائلة بأن الجوانب الصوتية للغة العربية حيوية لفهم العلاقات الشخصية والسياق في الحوارات المختلفة.